

الطفل و التراث الشعبي "الحكاية الشعبية أنموذجا"

أ. سعدي سعاد
جامعة تلمسان (الجزائر)

ملخص:

تعتبر سنوات الطفولة حجر الأساس في تكوين شخصية الفرد ، و هي المرحلة التي يكتسب فيها الفرد اتجاهاته و عاداته و تعليمه و تربيته، و فيها يكون الفرد مرنا قابلا للتعلم ، فإن كل من الأسطورة و الحكاية الشعبية تلعبان دورا هاما في تكوين شخصية الطفل من عدة جوانب منها : الجانب الاجتماعي و العقلي و اللغوي و الأخلاقي ، وإذا تم بناءه بصورة صحيحة و سليمة نتج عنها شخص مثالي ، يستطيع مواجهة صعوبات الحياة بكل ثبات ، مستعينا في ذلك بالموروث الثقافي الشعبي .

Abstract:

Childhood years is considered a cornerstone in the formation of an individual's personality. And it is the stage in which the individual acquires habits and trends and education and training. And be flexible where an individual capable of learning Each of the legend and folk tale are playing an important role in the formation of the child's personality in many ways , including:. Social and mental and linguistic and moral side. If it built properly and sound resulted in the ideal person You can cope with the difficulties of life firmly , using the popular cultural heritage.

Résumé:

Les années de l'enfance est considérée comme une pierre angulaire dans la formation de la personnalité d'un individu. Et il est le stade dans lequel l'individu acquiert des habitudes et des tendances et de l'éducation et de la formation, et d'être flexible où un individu capable d'apprendre Chacun de la légende et conte populaire jouent un rôle important dans la formation de la personnalité de l'enfant à bien des égards, comprenant:. côté social et mental et linguistique et morale. Si elle a construit correctement et le son a abouti à la personne idéale Vous pouvez faire face aux difficultés de la vie fermement, en utilisant le patrimoine culturel populaire.

إن مرحلة الطفولة من أهم مراحل التكوين و نمو الشخصية ، لأن الطفل يولد عديم المعلومات الخاصة ببيئته الخارجية، و لكنه خصب الاستعداد للاستقبال و تخزين المعلومات الخاصة لكل خبرة يتعرض لها أي " أنه منظمة حيوية خام لها صفاتها الخاصة فعلا و لكنها شديدة التفاعل مع كل من تحك به ، فهو اجتماعي من صنع بيئتهو لكنه تكويني من خلال وراثته " ¹ وطفل اليوم هو فتى الغد ورجل المستقبل ، فهو القاعدة الأساسية ، و اللبنة الأولى للمجتمع ، لذا فمن الضروري أن تنمو قواه العقلية في ضوء إمكانيات المجتمع و حاجاته المتطورة. إذا كانت القصة أو الحكاية الشعبية في صورتها الأولى مجرد خبر أو مجموعة من الأخبار تتصل بتجارب روحية و نفسية عاشتها الناس منذ القدم ، قد حرص المجتمع ا على الاحتفاظ بها ونقلها عبر الأجيال عن طريق الرواية الشفهية ، فالرواية تكسب الحكاية طابعا جديدا، هذا لا يعني أن القاص حر في تأليف الحكاية وفقا لأهوائه ، وإنما مقيد بقوانين شكلية و موضوعية خضعت لها حتى اليوم.

إن الحكاية الشعبية بصفة عامة هي أكثر أنواع الأدب الشعبي تناقلا من مجتمع إلى مجتمع آخر و من مجموعة لغوية إلى مجموعة لغوية أخرى، فهي تسمع و تفهم ثم تروى سواء أكان ذلك بإعادة صياغتها من جديد و روايتها في بناء فني حديث، أم بتعديل بعض عناصرها أو إبدال بعض هذه العناصر بعناصر جديدة تتوافق مع فكر و وجدان المتلقي الحديث، أم بإضافة عناصر جديدة من واقع الحياة التي يعيشها الراوي و المتلقي في أن " ² وقد عرفها الإنسان منذ أن عرف الكلمة وسيلة للتواصل و نقل الخبرات لذلك لم يكن الحكيم كاملا بلا هدف.. بل كان وسيلة للمعرفة و الدرس

والتنقيف، لذلك أصبح الإنسان يجيد السرد و الحكى، يمارسه بشغف، ويتوارثه باعتباره ميراث الحضارة، والثقافات، وأحد أساليب تتاقلها والحفاظ عليها، فالحكى كان للإنسان ومازال " أداة المعرفة الوحيدة التي عرفها، ومن خلاله صاغ فكره الديني والثقافي، والعملية، واستطاع من خلاله أن يعبر عن الخبرات الحياتية، ويشكل من خلاله الوعي الإنساني، وإدراك الحياة فهمها، وذلك من خلال ما ابتدئته عقلية من أشكال التعبير القولية، والتي عرفت بالأدب الشعبي بداية من الأساطير ونهاية بالنوادر"³ ويقول فوزي العنتيل: " عالم الحكايات الشعبية الذي يتحرك فيه أبطال الحكايات طلبا للمغامرة، أو بحثا عن الأدوات السحرية، عالم زاخر بالعجائب، ممعن في الخيال، عالم يبعث الحس والشعور في الحيوان والنبات والأدوات الجامدة، وتلغى فيه أبعاد الزمان والمكان، وتفيض فيه مشاعر الوفاء والتضحية، والعدل وينتصر الخير فيه دائما".⁴

إن الحكاية بتعبيرها الأدبي الجميل مؤثرة، لأنها صادقة في إحيائها ودلالاتها، فالطفل بحكم طبيعته يحب الاستماع إلى القصص والحكايات، فيطلب من الأم أو الجدة الحكايات التي تتاسبه ويشغف لسماعها مثل: قصة الشاطر حسن، قصة لونجة، قصة بنت السلطان وغيرها من القصص السارة والمخيفة.

إن المضامين والمعلومات والحوادث التي تتضمنها الحكاية تؤثر في تكوين الطفل العقلي والخلقي والخيالي دون أن ننسى اللغة، وبالتالي تيسر له عدة منافع تساهم في بناء شخصيته وتوسيع أفكاره وأحاسيسه. لهذا نجد الطفل ينهل منها خاصة ما ينمي أفكاره و ينير بصيرته ويشحن عقله، و يتفطن إلى الأعاجيب و التحولات الخارقة للعادة، و هذا يبعث فيه حب الإطلاع و التقليد و يثبت فيه القيم الجمالية و الشعور النبيل، و في هذا الصدد يبين "ويليام باسكوم" وظائف الحكاية كالترويح عن النفس و تثبيت القيم الثقافية، و التعلم و التلقين انطلاقا من الأبعاد التالية: ⁵

(أ) البعد النفسي: إن الطفل بذاته و نفسيته الهادئة يحب قصص الحيوان، فإنها تجد في نفسه مكانا فسيحا، فهو منذ صغره يحب ملاعبة الحيوان، فيسعد ذلك الأمر و يثير في نفسه قيما عديدة منها المعاملة الحسنة له، و الاحتراس من غضب الحيوان فقد يصبح عدوا إذا أسئت معاملته. و مما لا جدال فيه هو " أن الطفل يتعشق لمشاهدة مغامرات النمر و الأسود و هي تحدث زئيرا في الأدغال، و هذا ما أدركه كُتاب الأطفال فخصصوا جزءا كبيرا من إبداعاتهم لقصص تتناول مغامرات الحيوانات " ⁶ و من الملاحظ أن الطفل يغوص في أعماقها و يستبطن ما يدور بنفسه، فالتأمل الباطني أو الاستبطان هو تأمل الفرد إلى ما يدور حوله من عمليات شعورية و الطريقة هي أن يطلب من الشخص أن يصف ما يختمر داخله من أفكار و مشاعر دون أن يعرض له بالتحليل و التفسير"⁷.

(ب) البعد الاجتماعي: خلق الله تعالى الإنسان وخلق له مجتمعه الذي يعيش فيه، كما أنه اجتماعي بطبعه، و لا يخفى على أحد إذا تأمل الخلق وجد لكل نقصان لا يكتمل إلا بغيره، و من هناك جاءت أخوة الإسلام و التعاون و التألف، فإذا قرأ الطفل في قصة من القصص أن فردا طرد من عائلته، يدرك مدى حزنه و شدة البعد عن الأهل، فالعيش في عزلة له آثار سلبية على نفسية الإنسان، فيفقد التعاون و الإحساس بالغير و إن حصل له ذلك واجه الموقف و عرف قيمة المجتمع " فالفرد الجزائري و منذ ولادته يظل حبيب الجماعة التي هو أحد منها، تفرض عليه ليس فقط عاداته و معتقداته و طريقة معيشتها، و إنما يجبر على أن يتزوج و يعمل و يمتلك و يمارس العبادات طبقا لنظم و كطقوس معينة، و هي بهذا لا تنفي فرديته فحسب و إنما تجعله أيضا مسؤولا عن سلفه و عن غيره " ⁸ و عندها يلمس الطفل أن أهم عنصر في تكوين المجتمع هي الأسرة التي يعيش بواسطتها، و ينعم بحنانها و يقوى بتشجيعها.

(ج) البعد الأخلاقي: إن خير ما يبتغي من الطفل تهذيب أخلاقه، فإن استوت حياته و طابت نفسه و اطمئن على حياته، فقد وضع قاعدة صلبة لحياته يقف عليها و يواجه بها عواصف حياته، و هذه الأخلاق يأتيه البعض منها، إذا لم نقل معظمها من الحكايات و مما يتعلمه و يتتقف به، فالحكاية تعتبر الدافع الأساسي لهذه الأخلاق الحميدة، كالوفاء و الصبر على المأسى و التريث في معالجة الأمور و مساعدة المحتاج و المحافظة على الصديق، و كيفية صوغ الكلام

المناسب لمقامه المناسب و منها يعرف الطفل الخير و قدره و الشر و فضاخته " و مما لا ريب فيه أن الطفل و هو يحتك بالحياة يدرك أن هناك نوعين من المعاملات : نوعا خيرا و نوعا شريرا، و هدفنا نحن أن نحبيب إليه الفضيلة و نكره إليه الرذيلة ⁹

(د) البعد الثقافي : من الأهداف المرجو تحقيقها من الحكاية الشعبية ، تشجيع الطفل بثقافة تنفرع شعبها إلى بعد تاريخي و أدبي و علمي و أخلاقي ، فيجلوا بذلك ذهن الطفل و يزداد محبة في طلب المعرفة و هذا نود تحقيقه من المطالعة. إن لقصة الحيوان أثر كبير في تنمية مدارك الأطفال و توسيعها ، فإذا عرف الأدياء كيف ينقلون الدال و المدلول في هذه القصص ، فحتما سيتأثر بها الطفل فقد ينظر إلى بطل القصة نظرة حب و عطف و حنان ، كما يمكن أن ينظر إليه بغضب و سخط و نقمة ، و عن طريق هذا الوعي ينمو فكر الطفل و تمتلئ مخيلته و ينتقل شيئا فشيئا إلى عالم الواقع ، و يعتبر القرآن الكريم أول مُرب للطفل ففيه حكايات و قصص ما يعجب له العقل و يبلغ به اللسان (ترقية اللغة عند الطفل) و يسان به العرض و يتلج له الصدر و تصغ له الأذان و تشخص له الأبصار و تفتح له الأبواب و قد أنشد نبطويه نفسه قائلا :

أَرَانِي نَسِيتُ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الْكَبْرِ * وَ لَسْتُ بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الصِّغْرِ
وَ مَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّبَا * وَ مَا الْحُلْمُ إِلَّا بِالتَّكَلُّمِ فِي الْكِبَرِ
وَ مَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إِلَّا تَعَسَّفُ * إِذْ كُلُّ قَلْبٍ الْمَرءِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصْرِ
وَ كَوُفَّقَ الْمُعَلِّمَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا * لَأَبْصُرَ فِيهِ الْعِلْمَ كَالنَّقْشِ عَلَى الْحَجَرِ ¹⁰

خلاصة القول إن الأطفال أدق آلات التسجيل البشرية للحكايات و الخرافات و الأساطير، و ما يساعدهم على ذلك الرغبة في الاكتشاف ، فيدفعهم حبّ التطلع إلى المجهول من العالم الذي يحيط بهم ، و حبههم كذلك لتقليد أمور كثيرة في هذه الحياة ، فهم أشد تقص للأحداث و عليه خير مادة يمكن أن يعتمد عليها في نقل التراث هي " الحكاية الشعبية " لما تحتويه من و ظائف إيجابية.

• **حكاية القرد و الغيليم** : قد تمّ اختيارنا للحكاية هادفة من كتاب "كليلة و دمنة" للكاتب " ابن المقفع" و ذلك للتنوع الذي يعيش فيه الطفل من قراءته المتعددة لمجموعة من القصص المختلفة الاتجاهات، و حكايات كليلة و دمنة متداولة بين الأطفال حتى إننا نجد بعضها في الكتب المدرسية الخاصة بالمرحلة الابتدائية و المتوسط. و ما يميز هذه الحكايات أنها تعتمد على أسنة الحيوانات و هي ذات فوائد جمّة:

الفائدة الأولى: تكمن في التربية النفسية و الاجتماعية و الأخلاقية، بحيث جعل لكل من الحيوانات الواردة فيها دلالة تدل على البشر في الواقع ، و لكل منها رمز فالأسد يرمز إلى الملك و الفيل يرمز إلى الوزير و غيرها من الحيوانات ، و يعطي لكل منهم صفات و أعمال حسب ما عرف عنه من صفات كالإخلاص و القوة و الشجاعة و العقل و الكذب و المكر.

الفائدة الثانية: كانت في التسلية و الترفيه و الترويح عن المكبوتات في النفس، وهي ما يستفيد منه الطفل إضافة إلى الأولى، و هكذا يكون الطفل قد أصاب الفوائد التالية الحكمة و الثقافة، و الترفيه و التسلية.

كما اعتمدت هذه الحكايات على استعمال المثل الذي يُعدّ ركيزة اجتماعية يتعامل معها الإنسان بكل جدية، فإنه يعتبر خلاصة لتجربة إنسانية حقيقية ، و تبقى راسخة كي يتعظ بها الغير ، و يعملون بها حتى لا يقعوا فيما وقع فيه الأولون.

و احتوت هذه الحكايات على الفصاحة البالغة و الكلمات الدالة والمعبرة و امتازت بقوة المعنى فإنها حفظ للغة، فيكتسب بذلك الطفل لغة سليمة وقوية ، وعلاوة على ذلك الحكمة الخالصة، فيستخلص الطفل منها ما بحث فيه الغير زمنا طويلا، فتسمو نفسه بها و يعلو شأنه.

وسنورد حكاية **القرد و الغيلم** محاولة لإبراز أهم أبعادها النفسية و الاجتماعية والأخلاقية والثقافية.

1/- البعد النفسي: إن الطفل بذاته و نفسيته الهادئة يحب قصص الحيوان، فإنها تجد في نفسه مكانا فسيحا، و الطفل منذ صغره يحب ملاعبة الحيوان ويسعد في ذلك سعادة كبيرة، و تثير في نفسه قيما عديدة من معاملة حسنة للحيوان وإدراكا لحياته من حب و غضب، قد يغضب الحيوان فيصبح عدواً إن أسئنت معاملته "مما لا جدال فيه أن للحيوان منزلة لدى الطفل، و تقديرا عظيما له، فهو يلعب القطط و الكلاب إن سحت له الفرصة بذلك، و يعشق مشاهدة مغامرات النمر والأسود وهي تحدث زئيرا و جلبة بين الأدغال و الغاب، وهذا ما أدركه رواة و كُتّاب الأطفال فخصصوا جزء كبيرا من إبداعاتهم لقصص تتناول الحيوان و مغامرته " .¹¹

ومن الحيوان الوارد في هذه الحكاية القرد و يعرف أنه حيوان يعيش بين الأشجار وأنه أليف يتعامل مع البشر بسهولة، وقد رآه الطفل إما أمامه مباشرة أو رآه في التلفاز، فيتعرف على شكله و أهم مميزاته، فهو كثير القفز مُحب للهو آكل للموز وبعض الفواكه، كما يعرف الغيلم وهو ذكر السلحفاة معروف ببطئه لا يسرع في مشيه، وقد يبدو له غبي حين يراه يدخل رأسه في قوقعة إذا واجهه خطر، فهو بدل من أن يهرب يبقى مكانه.

فهكذا يكون لكلهما رمز دالا " في أدب الأطفال الذي عرف عند العرب في زمن مبكر منذ ترجمة كتاب **"كليلة و دمنة"** و المهم في هذا الرمز نجد المخلوق غير البشري يتصرف كما يتصرف البشر ،و يدخل في إطار تصوير الإنسان متكررا في زي حيوان وهو يتصرف بأخلاق الإنسان".¹²

وقد يجد الطفل ذاته في هذين الحيوانيين (**القرد و الغيلم**) و كأنه يحاكي نفسه ويعبر عن ذاتهن ، فقد يعيش الطفل في عزلة يريد التعرف على صديق جديد أو وطأ أرض جديدة، فهو ذو طموح واسع يتمتع بحب المعرفة والغوص في بحور أفكاره إلى أقصى حد ممكن.

"لقد ظهرت القصة الحيوانية أو الخرافية، استجابة لحاجة الإنسان إلى التعبير عن ذاته و كيانه بطريق متحررة من كل القيود الإنسانية ، التي قد تحول دون تنفُّسه بحرية لأسباب عديدة، سياسية واجتماعية وغيرها، واختار الأدياء لقصصهم أبطالا خرافيين من الحيوانات، فتجولوا في المجتمع بطلاقة، وصوروا شخصيات إنسانية في قالب حيواني، و كأنهم كانوا في غابة وهم ينقلون إلينا سلوكيات وتصرفات إنسانية تحدثت عن الحيوان، وهي في واقع الأمر تنم عن الإنسان".¹³

وما يأخذه الطفل من هذه الحكاية عبرة من ملك شيئا ثم أضاعه، ويا حسرة من أضاع ما ملك، قد يحصل للطفل أنه ملك شيئا ما ثم يفقده، فيتألم لهذا الفقدان أو يكون على دراية ممن فقد شيئا بعد امتلاكه، فيعرف قدر تألمه فيحافظ على ما يملك ولا يفرط فيه مهما بلغت صعوبة الاحتفاظ به.

1/- البعد النفسي: فنلاحظ أن الطفل يغوص في أعماقه و يستبطن ما يدور بنفسه "التأمل الباطني أو الاستبطان هو تأمل ما يجري داخل نفسه أي يستبطن ما يدور فيها من عمليات شعورية ،و تتلخص طريقة الاستبطان في أن يطلب من الشخص أن يصف ما يختلج داخله من أفكار و مشاعر دون أن يجد لها التحليل و التفسير".¹⁴

وهذا ما يسمح للطفل في معرفة نفسه و كيفية إدماجه في واقعه، و ذلك بمراعاة نواقصها و محاولة إتمامها وتعويضها وحسن استعمال محاسنها وقدراتها وتمييزها لما يخدم نفسه ومجتمعها. فيكتشف أن الحياة مجموع أحداث متعاقبة و متباينة و لكل منها تصرف خاص و تفكير دقيق و مواجهة صلبة حتى يستطيع السير معها للأمام.

إن العيش داخل المجتمع يبعث بالنفس شعورا بالاطمئنان و الراحة ،لأن الفرد اجتماعي بطبعه، ويقرأ الطفل ما حصل للقرد الذي أصابه الهرم، فأصبح ضعيفا لا يقوى على المواجهة ولا على الحكم، فطرد من طرف القردة ولم يراعوا في ذلك كبره ولم يوقروا حكمته وتجربته في الحياة.

قد يتساءل هل هذه هي عادة عند القردة أم طرد ونفي حتى لا يكون عالية عليهم أو مصدر فتنة، ثم يجد دخول القرد الشاب ذو القوة و اليفاعه لكنه يتمتع بصفة المكر .

فالأمان و الاستقرار النفسي لن يكون بالمجتمع مطلقا، فقد تتخلله صعوبات جمّة لا طاقة للفرد في مواجهتها، فيركع ويستسلم رافعا يديه، وهذا ما يراه عند القرد الهرم فإنه ينطلق هاربا لساحل البحر، فإنه إن بقي هناك فقد يُسجن أو يُقتل وليس ذلك ببعيد، ففضل العزلة و المنفى على البقاء بمجتمعه سجينا أمام الذل و الإهانة.

فكثيرا ما يكون الهروب أفضل طريقة للنجاة أو بداية حياة أخرى، وهذا ما نجده في تاريخنا بكثرة، حيث نجد الشاعر الجاهلي الشنفرى الذي ترك عشيرته وكان من فتاك العرب وله لاميته المشهورة ويقول فيها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ***** فإني إلى قوم وسواكم لأميل.
فقد حمت الحاجات و الليل مقمر ***** وشدت لطيات مطايا و أرحل
وفي الأرض منادٍ للكريم عن الأذى ***** وفيها لمن خاف القلى متعزل

ولا يكون الهروب خفية ولا جُبنا ،ولكنه حكمة و عزة نفس إلى ما يصون كرامته ويحفظ نفسه. كما يلمس الطفل طبيعة السفر حيث يتجه القرد إلى ساحل البحر ، و هذا المكان لا يخلو من المناظر الجميلة ، فسيكون البحر و الشمس الساطعة و الهدوء الموجودة على شاطئه ،لأمر يبعث بالنفس إلى الراحة و الاطمئنان. وهذه هي سمة السفر فهو يحمل النفس إلى الراحة و السكينة.
يقول الشاعر :

وإذا البلاد تغيرت عن حالها*****فدع المقام وبادر التحويلا.
ليس المقام عليك فرضا واجبا*****في بلدة تدع العزيز ذليلا.¹⁵

فيدرك الطفل مرارة البعد و الفراق ، لكنّه إذا كان فراقا لا بد منه، وخروجا من دائرة الذل ودخول لدائرة العزة، فإنه يصبح لزاما عليه.

ويلتقي القرد مع الغيلم وذلك بسبب سقوط حبات التين في الماء ،وميول قلب الغيلم إلى القرد ومحبهه فتصافحا وتحابا، ويبدو أن الغيلم خرج أيضا مبتعدا عن أهله لأن بقاءه طال مع القرد. فتطبيب نفس الطفل بهذا اللقاء، فيسعد لحال القرد فقد لاقى صديقا و الغيلم أحب هذه الصداقة، إن للصداقة دور كبير في حياة الطفل خاصة ،وهو مقبل على الحياة فيلاقي العديد من الأصحاب في الحي و المدرسة، وربما بأمكنة أخرى،حين يتجول بين أقاربه أو خلال رحلاته.

لكن يجب أن يدرك أصول الصداقة ويحسن اختيار الصديق المناسب، فالصديق له تأثير كبير على حياة صديقه، فإن كان صالحا صلح صاحبه وإن كان مسيئا سيء صاحبه ،و أوصانا نبينا صلى الله عليه و سلم على اختيار الصاحب الصالح فقال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك و إما أن تبتاع منه،و إما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك و إما أن يجد ريحا خبيثة".¹⁶ رواه البخاري و مسلم.

فالصديق يجد فيه القوة و النصيحة و النصره، يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكته و غيبته ووفاته " وقال أيضا: "الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين".¹⁷

ونجد أن القرد قد وجد يمينه فتآلفت القلوب وصفا الحديث، وهنا يتفطن الكاتب إلى ما يكتب، حيث يتقن أسلوبه وكتابته فهي موجّهة للطفل، فنلمس فيها صدق القول وبراعة التعبير "...أما المراد بصدق التجربة أن يُحسها الأديب بالفعل إحساسا بسيطاً عليه ويدفعه دفعا إلى التعبير، والمقصود بالصدق الشعوري هو ذلك الذي يُفعم وجدان الأديب ويملاً نفسه".¹⁸

فالكاتب يركز على الصداقة وحاجتها للطفل، فهي شريان حياته دائم السريان، وسرعان ما يعلم الطفل أن للغليم أسرة، قد اشتاق إليها ويجب العودة إليها و يقرأ حوار زوجة الغليم وجارتها، وكيف أوغلت صدرها على القرد البريء فيرى المكر والخديعة، وخاصة لما يعود الغليم وتعلمه الجارة بحاجتهم إلى قلب القرد، فيلمس تلك العدوانية عند جارة الغليم، فيما تحبذ الزوجة الصمت فلا تؤكد ولا تنتف هذه العدوانية المؤدية إلى إرضاء حاجات بالنفس، فالوصول إلى الغاية مؤكد دون معرفة الوسيلة أو أخذها بعين الاعتبار، فإما أن تكون الوسيلة خير أم شر، ويلمس في هذه الوسيلة قتل صديق وفي. "نحن نعتبر العدوان سلوكا عوضا من اعتباره حاجة، فهذا السلوك يستطيع أن يلبي عددا كبيرا من الحاجات مثل حاجة التملك، وحاجة السيطرة، وحاجة الاستقلال والحاجة إلى تجاوز مشاعر الداتوية...."¹⁹.

ويبقى الغليم في حيرة ويختار زوجته ويضحى بصديقه، أو يذهب إليه طالبا قلبه فيحتال عليه للذهاب معه بأنه صديقه ويجب زيارته في بيته وجزيرته، فاشتتهى القرد الزيارة وذهب مع الغليم، ولا زال الغليم في حيرته وصراعه النفسي قائم وضميره يؤنبه حق التأنيب، و لما بلغا وسط البحر فشعر القرد بالخطر وتساءل عن التوقف، فأفصح له الغليم بخطئه ومرض زوجته وإرادته لقلبه، فتفطن القرد وعلم بنهايته.

فاحتال هو أيضا للنجاة بنفسه، وأجابه بالموافقة لكنه قد وضع قلبه على الشجرة عند السفر، وطلب من الغليم إعادته للساحل حتى يناول قلبه، وفرح الغليم وسعد لمساعدة القرد له، فعاد به وبدأ ينتظره حتى ناداه، فضحك القرد من الغليم وقال له أتريد خداعي قد حدث لك ما حدث للأسد وابن أوى وحكى له المثل، فأيقن الغليم بخطئه وبأنه غبي ولن يفلح في خطئه.

فالنجاة من المصائب أمر مطلوب وتحتاج إلى عقل نير ومتقن، وهذا ما تعلمها الطفل، فتبتهج نفسه لعدم موت القرد وعودته لحياته التي كاد أن يفقدها للمرة الثانية.

12- البعد الاجتماعي: لقد خلق الله تعالى الإنسان وخلق له مجتمعه الذي يعيش فيه، فكان بذلك الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا يخفى على أحد إذا تأمل الخلق وجد لكل نقصان لا يكتمل إلا بغيره، ومن هنا جاءت أخوة الإسلام والتعاون والتآلف، فجاء ديننا الحنيف بهذه التعاليم لبني البشر حتى يتبعوها ويمشوا على منوالها، فتتحقق لهم السعادة في الدارين.

وهذا ما نجده مجسدا في هذه الحكاية التي بين أيدينا، فيرى الطفل كيف أن القرد كان يعيش في مجتمعه آمنا مطمئنا إلى حين طرده أهله وعشيرته والحزن الذي لحق به من جراء ذلك. فيدرك مدى ذلك الحزن، وشدة البعد عن الأهل، فالعيش في بُعد وعزلة له أثر سلبي على نفس الإنسان، فهو بذلك يفقد معنى التعاون والإحساس بالغير والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم.

ويجد الطفل أول ما يتناول أية حكاية أن يضرب الفيلسوف مثلا للملك، فيكون المثل مثلا للتربية والتنشئة الاجتماعية يقول الملك: "فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب حاجته إذا ظفر بها أضعها"

والمثل يعتبر موجها اجتماعيا حتى نجد أن الله تعالى قد جعله في كتابه العظيم، وضرب الأمثال للناس لعلمهم يعقلون: "ثم اعلم بأن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء وخفيت عليه الأشياء، فضرب الله لهم مثلا من عند أنفسهم لا من عند نفسه، ليدرخوا ما غاب عنهم.... فالأمثال نماذج الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدى النفوس بما أدركت عيانا".²⁰

فورود المثل هنا جاء تفسيراً و تبصرة لما غابت عنه إضاعة الحاجة بعد الظفر بها، فيتعلم كيفية الحفاظ عليها، والمعاملة الجيدة والفتنة مع ما يحيط به، وإن فرط في قليل منها قد يضيعها، فالحياة تتطلب فطنة وحسن المسابرة والمعاملة، وإلا فقدت ما يصعب استرجاعه ولو لحين .

كما يدرك الطفل أمراً أساسياً في المجتمع يتجلى في الرئاسة، وهو يعلم أن له رئيساً يفتاد إليه، حتى في البيت فالأب رئيس يعطي الأوامر وينفذ أبناءه أو امره ويلبي ما تحتاج إليه أسرته، فلا يمكن أن تسيّر أمة أو طائفة من دون قائد يحكمها.

كما يُستتبط أن من شروط الحاكم أو القائد الفطنة والقوة، فإن القرد لما كبر وهرم، طُرد ونفي، فمهما كان قوياً ذو عزيمة وبأس شديد وعدل وافر، زاد احترامه من طرف الرعية وثبت ملكه وقويت دولته وتطورت، وإن خالف ذلك وهنت وضعفت وتسقط إما بأيدي أعدائه أو يطرد أو يعرض بما هو أقوى وأحكم وأقدر. و الوفاء للرعية من طرف الراعي أمر لا بد منه، فالطاعة أساس الضعف والسقوط .

كما أن عدل الحاكم هو سنام حكمه، فإن غش كان الهلاك مصيره محتوم في ملكه وخاتمته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يسترعي الله تبارك وتعالى عبداً رعية قلت أو كثرت، إلا يسأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه حتى يسأله عن أهل بيته خاصة".²¹

هذا دليل على أن الحاكم يلتزم بكل صغيرة أو كبيرة تمس رعيته، وكل هو عنه محاسب فله الطاعة وعليه خشية الله في رعيته . وإن العزلة أو النفي إلى خارج البلد لأمر يصعب قبوله والتعود عليه، وإن حصل فلا بد من مواجهته وفيه تعرف قيمة المجتمع، لكن إذا كان المجتمع فاسداً لا بد من هجره وتغييره، فالحاجة للمجتمع قائمة، لكن المحبوب يبقى لما يحبه الفرد، فإن هو أحب تأقلم مع ذلك المجتمع ورضي بقوانينه وتعامل بها .

" فالفرد مند ولادته يظل حبيس الجماعة التي هو أحد منها، تفرض عليه ليس فقط عاداتها ومعتقداتها وطريقة معيشتها، وإنما تجبره أيضاً على أن يتزوج ويعمل ويمتلك ويمارس عباداته طبقاً لنظم وطقوس معينة، وهي بهذا لا تنفي فرديته فحسب وإنما تجعله أيضاً مسؤولاً عن سلفه وعن غيره ".²²

والقرد قد خرج من مجتمعه، عاقداً بذلك صحبته مع الغيلم، الذي كان في رحلة خارج بيته فاستأنس كلاهما بالآخر، وهنا يلمس الطفل عنصرًا أساسياً في التكامل الاجتماعي والبناء القوي له، إنه الصحبة والأخوة وما يجمع الطرفين هو المحبة والحاجة، فالحاجة للغير أمر فطري لا بد منها، فالتألف قد جاء على نهج بسيط وسليم وكل منهما كان بحاجة للآخر، فالأول خارج من عند أهله في حالة نفسية قاسية وتيهان واسع لا يعرف أن يكمل بقية حياته، وكيف يعيش بعيداً عن أفهم وحكمهم وأعطهم ثمرة حياته و يناعة شبابه .

والثاني يبداً أنه كان في رحلة أو سفر بعيداً عن أهله الذين تتركهم بعد حين وطالت غيبتهم عنهم، فقد استأنس بالقرد، وعقدت الصداقة بينهما بصفة رسمية وارتاح كل منهما للآخر وقضيا أياماً مرحة يقول الكاتب " وألف كل واحد منهما صاحبه، ولبثا زمناً انصرف الغيلم إلى أهله ".²³

ويعلم الطفل أن قدر ومكانة الصديق أمر عظيم، في وقت الشدة، تجد الصديق معك يخفف عليك ويشاركك الحزن ويبحث لك عن الحل ولا يهدأ ولا يهنئ حتى يخرجك مما أنت فيه.

وبهذا تقوى الصحبة ويزيد التألف وتقوى المحبة فيقوى المجتمع ويتماسك، وهذا ما حدثنا عليه ديننا لما فيه من القوة والتماسك قال صلى الله عليه وسلم: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة "

23 .

والصاحب محمود ومطلوب إن كان للحمد صاحباً يقول صفي الدين الحلبي :

لي صاحب إن خانني دهري وفي ***** وإذا تكدرت المناهل لي صفا
تبدو محبتته ويظهر وده ***** تحوي إذا ما الودّ بالملق اختفى
أجفوا فيمنحني المودة طالبا ***** قُربي وأمنحه الوداد إذا جفا
كلّ يقول: لصاحبي عندي يدُ ***** إذ كان لي دون الأتام قد اصطفى

كما يلمس الطفل في هذه الحكاية اتجاه البعد الاجتماعي، أهم عنصر في تكوين المجتمع إنها الأسرة التي يعيش بواسطتها، وينعم بحنانها و يقوى بتشجيعها، إنها أسرة الغيلم المُكوّنة من الزوج الغيلم والزوجة ويبدو أنّهما كانا يعيشان في سعادة وهناء، واشتياق كلّ منهما للآخر لدليل على ذلك وهذا هو أساس استمرار الأسرة.

و يجد أنّ الزوجة أصابها الهول لغياب زوجها، وقد كانت تعرف أنه في غياب، لكن طول غيابه هو ما أرهاقها وأدخل الظنون بنفسها، كما يجد الزوج (الغيلم) وهو في صحبته مع القرد تذكر أهله، وعلم أنه قد أطل الغياب، فعاد راجعا إليها لينعم بدفء عائلته.

إن صلاح الأسرة من أساسيات صلاح المجتمع فبصلاحها يصلح الفرد، فإن عاش في هناء وطيب وعقل مدبر منير وقاعدة إسلامية صحيحة، تحقق بذلك فرد صالح خادِم لمجتمعه، وبالتالي تكوين أسرة صالحة وهذا ما يحقق بالضرورة مجتمعا صالحا.

ولا شك أن الطفل أكثر واحد اهتماما بأسرته، فهي مربيه الأول وعالمه الصغير و مجتمعه المحيط به، منها يتعلم القوانين و التنظيم وكيفية الكلام و الاستفسار و الاستنتاج.

فمن الأب يأخذ القوة والطاعة و السيرة الحسنة، وتشاركه في ذلك الأم التي تُدرّبه على النظام داخل البيت. من تنظيم في الأكل والوقت والتأدب في الحديث والتصرف إلى غير ذلك من مهام الأم مع طفلها بصفقتها أقرب إنسان له. وقد يلمس في هذه الأسرة ما يعكر صفوها ويفسد سعادتها، لذا وجب أن يحترس منها أفراد الأسرة ويحافظون على أسرتهم بكل قوة، ويجب تجشّم المصاعب لنبوغ السعادة. ومن هذه الأخطار التي قد تواجه الأسرة، الصداقة الفاسدة فيجد الطفل قول صديقة زوجة الغيلم: " لا تحزني فإنه قد بلغني أن زوجك بالساحل مع قرد قد ألقاه، فهما يأكلان ويشربان ويلهوان، وقد طال غيبته عنك، فانسبه إذ نساك، وليهّن عليك كما هُننت عليه، وإن استطعت أن تحتالي للقرد فتهلكيه فافعلي فإن القرد لو هلك قدم عليك زوجك وأقام عندك"

إن هذه الصداقة للزوجة قد تفسد عليها أسرته، وتحرمها من سعادتها، فظاهر كلامها يبدو أنّها ستسعدّها وتريد لها الخير وتحب لها الهناء، لكنّها في الباطن تبعث بها إلى فناءها، فإنّها جعلت الغيلم يُقبل على قتل القرد و الاحتيال عليه، وهكذا يرتكب زوجها جريمة قد لا ينجوا منها، فتعيش الزوجة بقيّة حياتها أرملة أو يبتعد عنها زوجها فتندم ندما شديدا حين لا ينفع الندم.

و فعلا نجحت في إقناع الزوج لقتل القرد بدون سبب، إلا من أجل القتل و حينها تقطن للمكيدة و بعد استعمال الحكمة نجا القرد ونجا الغيلم من ارتكاب جريمة شنعاء، كيف يروق لصديق قتل صديقه؟.

كما يجد الطفل من الأخطار المهددة للأسرة كالغياب الطويل لأحد أفراد الأسرة، فغيابه الطويل يدخل الوسواس إلى العقل و القلب، كما يُحدث غيابه فراغا داخل أسرته ولهذا الأخير انعكاس سلبي على سمعة الأسرة، فلا تملك الأسرة تماسكها وقد تتمزق من جراء ذلك.

وأهم شيء يجمع أفراد الأسرة الحب والثقة المتبادلة، فزوجة الغيلم تُكن لزوجها حُباً عظيماً، لكن الحب أحيانا يحتاج إلى ثقة كبيرة بين الزوجين. وقد سمعت لصديقتها وتركتها تكذب على زوجها على أنّها مريضة بمرض شديد والشفاء منه لن يكون إلا بقلب قرد والزوجة صامتة لا تتكلم، وصمتها هذا مؤدّ إلى خراب بيتها.

هذه هي بعض الأخطار الهادمة للأسرة وحتى لأفراد المجتمع، لذا وجب الاحتراس ومحاربتها فالصديق السيئ والبعد الطويل بلا مبرر وغياب الثقة، أمور تهدم أساس أي مجتمع مهما بلغت قوته، والحفاظ على الأسرة وعلى أفرادها واجب والمسؤولية قائمة على كل فرد كي يستقيم محيطه وتستوي أسرته وتنهأ حياته.

3/- البعد الأخلاقي: إن خير ما يُبتغى من الطفل تهذيب أخلاقه، فإنه هي استوت حياته وطابت نفسه واطمأن على حياته، فقد وضع قاعدة صلبة لحياته يقف عليها ويواجه بها عواصف حياته ولن يسقط، وهذه الأخلاق يأتيه بعض منها. إن لم نقل معظمها من الحكايات ومما يتعلمه و ينتقف به. و الحكاية تعتبر الدافع الأساسي لهذه الأخلاق الحميدة، كالوفاء والصبر على المآسي والتريث في معالجة الأمور ومساعدة المحتاج و المحافظة على الصديق، وكيفية صوغ الكلام المناسب لمقامه المناسب.

فالطفل يعرف الخير وقدره ويعرف الشر وفضاعته، فتحمله على حب الخير والتسابق إليه مهما كان صعبا، فهو أصل حياته وسر سعادته و مما لا ريب فيه أن الطفل وهو يحتك بالحياة، يدرك أن هناك نوعين من المعاملات: نوعا خيرا ونوعا شريرا، وهدفنا نحن أن نحبب إليه الفضيلة، وأن نُكره إليه الرذيلة منبهين إياه أن كل شيء نسبي و أن الذي قد نراه شرا مستطيرا، إنما هو يحمل في المقابلة خير أحيانا فالموت شيء رهيب، بيد أن فيه رحمة وتطهير وستر وتغيير وتجديد ورحلة أخرى إلى عالم جديد وهكذا....²⁴

و فعلا قد يلمس الطفل بهذه الحكاية الخير والشر رأى لكل نتائجه، فيجد خير مآبا وموصلا، وأبدع ما في هذا الحب الذي يجمع صديقين كما جمع القرد الهرم و الغيلم، فقد طابت الحياة وزينت، ويعتبر هذا من الأمور الحاملة على الفضائل التي يكتسبها المرء. "سئل عقيل ما أفضل ما أعطي العبد؟ قال: غريزة عقل، قال فإن لم يكن قال فأدب حسن، قال فإن لم يكن قال فأخ شقيق يستشيره. قال فإن لم يكن قال فطول الصمت، قال فإن لم يكن قال فموت عاجل".²⁵

قد جعل الصديق أخوا شقيقا يُستشار فيشير ويدعى فيلبي وهذا فضل عظيم، ومصاحبته تكسبك خلقا سليما. كما تحمل الصداقة الأمانة فهي فضيلة ذات شأن ومن أضعها فقد أضع خيرا كثيرا، وما أحلى أن يتصف بها أطفالنا وتُغرس في نفوسهم، فيعظمون شأنها ويدركون فضلها فيحافظون عليها، هو بذلك يحفظون أنفسهم، ويستتبطن الطفل هذا من الائتمان الواقع بين القرد الهرم و الغيلم، فقد استمع القرد للغيلم وضمه إليه وقضيا زما غير يسير في التحادث و التحاكي وأحب كل واحد الآخر، فالأمانة تثمر المحبة وتطيل الصحبة وقد دعا إليها الأولون وعظموا شأنها " قالت عائشة رضي الله عنها(في مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الأمانة وصللة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء).

ومن الأخلاق الفاضلة الوفاء وتمثل هذا في الغيلم لزوجته، فقد تذكرها بعد غيابه الطويل فتجده يقول: " لأتئين أهلي فقد طالت غيبتي، فالوفاء صفة محمودة يجب التحلي بها. خاصة إذا كان الشخص قريب منك وهو يطلب وفاءك بل هو واجب عليك، ونجد هذا الوفاء يمتد حتى إلى أدب الغير وهذا غير مرغوب فيه، فالوفاء يجب أن يكون في الخير وللخير، أما أن تكون وفيا بالشر فذلك لا يُعد وفاء، وإنما تعاون على الإثم والعدوان .

ونرى حيرة الغيلم حين خبر بين صديقه وزوجته ولكليهما وفي، وذلك حين طلبت منه الجارة دواء زوجته في شكل قلب قرد، و كانت تقصد صديقه كي تفرق بينهما فنراه يقول: " من أين أقدر على الإتيان بقلب قرد إلا قلب صديقي؟" وطبعا هذا لن يكون إلا بالمكر والخداع، فهو يعرف أن القرد يثق فيه ولن يشك في مكره، ثم يحتر ويستيقظ ضميره يقول: " هل أغدر بصديقي أم تهلك زوجتي".

ثم عاد إلى القياس فجعل زوجته في كفة وصديقه في كفة ووازن بينهما قال : "إذا لم يستطع الرجل العظيم احتمال ما هو صغير ، كان حقيقياً ألا يلتفت إلى الصديق . وحق الزوجة عظيم، ومنافعها كبيرة فهي المعينة على أمر الدنيا والآخرة ، وأنا على خطئى إن لم أؤثرها و أضيع حقها".

فقد أفنح نفسه بأن اختار زوجته، فهي الحامية والمعينة له على نوائب الدهر ، و فكر ناويا أخذ قلب صديقه، ونرى لهذه الجارة كيف احتالت عليه و غيرت وجهته وهو غافل، فقد عماء الحب والوفاء عن الحقيقة ولم يتحر الحق وهذا ما يتنبه له الطفل فالتحري عن الحقيقة واجب خشية أن تظلم شخصا بريئاً، وتندم ندماً شديداً ولا ينفع الندم حينها . هنا يجب تحكيم العقل كي لا يقع فيما لا يحمد عقابه " العقل والهوى متعاديان فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مسعفاً ولهواه مسوفاً، فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما إلى هواه، لأن في مجانبتها الهوى إصلاح السرائر وبالعقل تصلح الضمائر " ²⁶.

فقد حكم الغيلم هواه ورمى بعقله بعيداً، وهذا أمر يستبعده أي عاقل فعين الحق تكون في تحكيم العقل ، ولا يترك مجالاً للهوى كي يعمل بطيشه. وهنا قد مال الغيلم إلى المكر والخداع وهما من أرذل الأخلاق ويجب مجانبتها والحياد عنها.

ويجد الطفل الكذب الذي يُعدّ مذموماً ومن أرذل الصفات التي يتصف بها بعض الناس، وتمثّل ذلك في "كذب الجارة على الغيلم حين أخبرته أن زوجته عليلّة ولا شفاء لها إلا بدواء يتضمن قلب القرد، فيتقطن الطفل لهذا الخلق السيئ وأين سيوصله خياله.... إلى قتل صديق بلا ذنب واقتراف إثم عظيم، وهذه هي عواقب الكذب دوماً تكون وخيمة.

لدا نجد ديننا الحنيف يُحذرننا منها ونهاننا من الاقتراب منها، فإنها دنس للنفس ومفسدة للخلق وتفرقة للوحدة، ومحولة الحب لبغض و التعاون لعداوة و الصفاء لكدر و الثقة لمكر و الوفاء لغدر. " قيل أمران لا ينفكان من الكذب: كثرة المواعيد وشدّة الإعتذار " ²⁷ قال الشاعر :

لا يكذب المرء إلا من مهاتته ***** أو فعله السوء أو من قلة الأدب.
لبعض جيفة كلب خير رائحة ***** من كذبة المرء في جد ولعب. ²⁸

فالكذب صفة مذمومة لا سلاح لها، حيث تنقص من قيمة صاحبها وتحط من شخصيته، وإن اشتهر بين ذلك وسط محيطه من أصحاب وعائلة سقط شأنه ونقم منه الجميع، ونصح الابتعاد عنه.

كما يلمس الطفل صفة الغدر والخيانة ويعرف مآلها الذي يتجلى في الحزن والأسى، وجعل الحيلة سبيلاً لبلوغ المرآب الخبيثة، فالقضاء على الصديق من أجل إرضاء حاجة بالنفس، فهذا أمر جل تجزع له النفس وتذمه الأخلاق الحسنة، فيتقطن الطفل لهذا ويحذر الحب الكاذب والوفاء المخادع. فالتيقن من الصاحب واجب حتى إذا وثقت به جعلته سندا لك في الحياة.

و استعمال الحيلة يكون في الخروج من المصيبة: " قيل الحاجة تفتح أبواب الحيل وكما يقال ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيها، بل العاقل الذي يحتاط للأمر أن لا يقع فيها: " ²⁹

وقد وقع القرد في شرك الغيلم، لكنه تقطن واحتمل لنفسه فخرج منها سالماً، كما يلمس ما هو سنام الأخلاق المتمثل في الاعتراف بالخطأ وطلب العفو، فالاعتراف شجاعة لا تكون إلا من لبيب حدق، فهو تصحيح للخطأ ونقول لكل مخطئ خير الخطائين التوابون فتجد الغيلم يقول : " أنت الصادق البار ، وذو العقل يُقلل الكلام، ويبالغ في العمل، ويعترف بالزلة، ويثبت في الأمور قبل الإقدام عليها، ويستقبل عثرة عمله بعقله"

فالعاقل يقلل الكلام ويظهر العمل ويعترف بالخطأ ويُحسن الخروج من زلّته، إنّها صفات يحسن للمرء التحلي بها.

"والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه، لأنّ من خفي عليه عيب نفسه، خفيت عليه محاسن غيره، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه، لأنّه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها وما أتق التجارب للمبتدئ"³⁰

4/- البعد الثقافي: ونجد من الأهداف المرتضى تحقيقها من الحكاية، تشبيح الطفل بثقافة تنفرع شعابها إلى بُعد تاريخي وأدبي وعلمي وأخلاقي، فيجلو بذلك ذهن الطفل ويزيد محبة في طلب المعرفة ويزداد حبا بها، وهذا ما نود تحقيقه من مطالعة الطفل، ولهذا نعمل على تنويع كتبه و قصصه والحرص على إيصالها له، وإعطائه كافة المساعدات لمطالعتها من وقت لآخر و تشجيعه، حتى يلمس لبّ المعرفة ويحبها وينهل من ينابيعها، فيقوى عظم معرفته ويسيل بجسمه دم الثقافة.

"إن قصة الحيوان أثر كبير في تنمية مدارك الأطفال وتوسيع معارفهم، إذا عرف الأدياء و الرواة كيف ينتقون الدال والملول في هذه القصص، لأنّ الطفل يتأثر كثيرا وهو يتلقى حكاية من حكايات الحيوانات، والداعي إلى ذلك أنّه ينظر إلى بطل القصة الحيوانية نظرة شفقة و عطف ورحمة، أو نظرة غضب وسخط ونقمة، فهو يتصرف معها حسب مات تحتاجه من أثار أو ما تقدمه من بر وإحسان، وعن طريق هذا الوعي ينمو فكر الطفل وتمتلئ مخيلته لينتقل شيئا فشيئا إلى عالم الواقع، وليدرك كلّما تقدم في السن الفرق بين الخرافة والحقيقة، ولكن الحكى (بفتح الحاء وسكون الكاف) يظل علقا بذهنه، وقد يؤهله ليصير روائيا كبيرا أو شاعرا بارعا لأنّ القصور المبنية تبدأ بلبنة واحدة كما يقال "³¹

وهكذا يكون لحكاية الحيوان أثر كبير في حياة الطفل، وجب الحرص عليها فهي تحمل الطفل على المعرفة بتاريخه، فالحكاية الحيوانية التي بين أيدينا من كتاب أصيل في تاريخ الأدب ولكاتب عظيم شأنه بما أّلفه للعقول اللببية هو كتاب "كليلة و دمنة" لا بن المقفع ، فمعرفة الطفل له تعود به لتاريخ قديم وتبدأ معرفته صغيرة وتكبر معه عبر حياته، فعلمنا قائل بأن كل شيء جديد (معاصر) لا بد من أساس قديم (أصالة) والمعاصر هو تطور للحديث والقديم ولا شيء ينتج من العدم، و إن إشباع الطفل بمعرفة تاريخه الأدبي هو حامل ودافع له إلى إنتاج الجديد.

وقد تعلمّ الطفل أصول الصداقة، إنّها عهد بين شخصين تضمن شرط الوفاء والإخلاص، وإن واحد منهما خالفها تفرقت صداقتهم، وقد تنقلب إلى عداوة يتخللها خداع ومكر، كره ورغبة في الانتقام، فتضطرب الأمور وتسوء الأحوال، يعرف الطفل عواقب ذلك فيتجنبه.

كما يتعلم أهمية هذه الصداقة، فهي من ركائز الحياة وقد حث عليها ديننا الحنيف، فجعل المؤمنين إخوة وجعل رسول صلى الله المؤمنون كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا وشبك أصابعه"³².

فكلما زادت المحبة والصداقة قويت الرابطة وزاد الإتحاد وطاب الحديث وصفت القلوب، ويظل الواحد باحثا عما يريح صديقه فيسرع في إتيانه ويعرف ما يبغضه فيتركه، وأن يكون قلب الصديق مسامحا رقيقا، فالرفق ما اختلط بشيء إلا زانه وماخلا من شيء إلا شاناه. ويحذر من حب المصلحة الشخصية على حساب صديقه، فقتل صديق قد عرف الأمانة من صديقه لأمر جلل وجب الابتعاد عنه، فلا مصلحة لك على حساب صديق آخر كي تخسر حياته أو تقسد مصالحه، بل يجب مشاورته والتأني في الأمور والحرص على عدم فقده.

فالوقوع في شباك الغدر والحسد أمر عسير وعواقبه وخيمة، ويجب الحرص من ذلك كما يعلم أسباب الخصام كثيرة منها سوء الظن بالصديق أو بالزوج وتصديق الواشون، كما حصل للخيلم حينما صدّق صديقة زوجته وذهب ليحضر قلب صديقه مريدا بذلك قتله، ظنا منه أن قلبه حقا شفاء لزوجته وظنّت زوجته بأنّه حقا ابتعد ونساها وما كان

ذلك صحيحا، وهي صفة ذميمة حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا".³³

- 1- ميشل دبابنة، نبيل محفوظ/1984/ص13.
- 2- أحمد محمد عبد الرحيم- دور الحكاية الشعبية في تنشئة الطفل- المهرجان الثاني لفنون طفل الصعيد- الندوة العلمية المنيا من السبت 9/8 إلى الخميس 13/9/2001 ص131
- 3- نفس المرجع السابق ص388.
- 4- فوزي العنتيل- عالم الحكايات الشعبية - مكتبة الدراسات الشعبية- هيئة قصور الثقافة- 1999 - ص2.
- 5- المأثورات الشعبية و العالم المعاصر /مجلة الفكر الكويتية، المجلد3/ العدد الأول /1972/ ص149.
- 6- محمد مرتاض: من قضايا أدب الأطفال، ديوان المطبوعات الجامعية /ذط / 1994 ص103.
- 7- خير الله عصار: مقدمة لعلم النفس الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية /الجزائر /1982 ص38.
- 8- صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي/دار نافع للطباعة /ط1 /1974/ ص 145.
- 9- محمد مرتاض : من قضايا أدب الأطفال، ديوان المطبوعات الجامعية /ذط / 1994 ص 134.
- 10- نبطويه: هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العنكي الأزدي. إمام حافظ، إمام من أئمة النحو، فقيه
- 11- محمد مرتاض: من قضايا أدب الأطفال، ص103.
- 12- نفس المرجع السابق ص95.
- 13- المرجع السابق ص95.
- 14- خير الله عصار: مقدمة لعلم النفس الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص38.
- 15- الأبهشي ، المستطرف من كل فن مستطرف ج 2، ص 85.
- 16- أبو عبد الله مصطفى ابن العدوي: فقه تربية الأبناء، دار ماجد العسيري، ذط.2002م ص156.
- 17- الأبهشي : المستطرف من كل فن مستطرف ج 1، ص 264.
- 18- مجلة البلاغ في الأدب و اللغة : أحمد هيكل، عنتر مخيمر العدد 5، مؤسسة دار البلاغ للصحافة و الطباعة و النشر ، 1999 ص 38.
- 19- المجلة النفسية: د.فاروق مجذوب ، ديناميكية المجال العدوانى ص94.
- 20- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترميدي: الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق د.السيد الجميلي، دار ابن زيدون بيروت ط.1 1985 ص 14.
- 21- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي 1985، ذط ، رقم الحديث 4408.
- 22- صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماعى البدوي، دار نافع للطباعة ،ط1 ن سنة 1974 ص 145.
- 23- الإمام مسلم : صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الظلم رقم 4677.مكتبة السنة بالقاهرة ،ط1 ،سنة1993
- 24- محمد مرتاض ، من قضايا أدب الأطفال.ص134.
- 25- محمد بن حبان البستي أبو حاتم: روضة العقلاء، دار البشائر بيروت، سنة1977 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص 17.
- 26- محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ص 19.
- 27- الأبهشي المستطرف من كل فن مستطرف ج2 ص 18.
- 28- الأبهشي المستطرف من كل فن مستطرف ج2 ص 18.
- 29- الأبهشي المستطرف من كل فن مستطرف ج2 ص 19
- 30- محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ص 22.
- 31- محمد مرتاض ، من قضايا أدب الأطفال ص 129.
- 32- صحيح البخاري: كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره رقم الحديث 459.
- 33- نفس المصدر كتاب الأدب باب يأبها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن رقم الحديث 5606.